الفصل الأول

معالم تأسيس مدينة الاسكندرية

المدخل: الاتصال بين مصر واليونان قبل عهد الإسكندر المقدوني

١-العلاقات السياسية والإقتصادية:

لم تكن العلاقات بين مصر وبلاد اليونان وليدة عهد الاسكندر المقدوني بل هي سابقة لهذا العهد، وتدل على ذلك المصادر الأدبية والأثرية، و أول مصدر يوناني أشار إلى تلك العلاقات هو هيرودوت (Herodotos) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد و تحدث عن بحارة يونان نزلوا على ساحل مصر، وأعانوا الملك بسيماتيك في نزاعه مع ملوك مصر حول العرش ولما انتصر وانفرد بالسلطة منح هؤلاء اليونانيين قطعتين من الأرض على جانبي النيل عرفتا باسم" المعسكرات". [1]

ولما جاء الملك الفرعوني أمازيس نقل الجالية اليونانية إلى ممفيس(Memphis) من أجل حمايتها ويرى هيرودوت أن هؤلاء الغرباء لما أقاموا في ممفيس كانوا أول من اتصلت بهم مصر من الأجانب وأن عهد بسماتيك هو بداية معرفة اليونان للحضارة المصرية.[2]

غير أن العلاقات بين مصر واليونان هي أقدم من هذا العهد إذ تشير الوثائق والكتابات سواء التي وجدت في مصر أو في مدينة كريت، أن تلك العلاقات تعود إلى العصور الحجرية القديمة منها كتابة مصرية قديمة أرخت" حوالي 3000سنة قبل الميلاد" في عهد الأسرة الثالثة تشير إلى شعوب باسم " هانيبو " أي الشعوب المحاطة بالمياه كما يدل على هذا الاتصال التحف المصرية المصنوعة من العاج والتي عثر عليها في كريت ،

---

(1)هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر، عبد الإله الملاح، أبوظبي، المجمع الثقافي،الكتاب الثاني،٢٠٠١م، ص، ٢٠٤.

(٢)نفسه، ص، ٢٠٥.

وكتابات أخرى وجدت في مدينة طيبة تشير إلى اسم " شعوب البحر " كشعوب حليفة لمصر ومن ضمنها عناصر يونانية ، وقد أرخت هذه الكتابات" حوالي 1800-2000 قبل الميلاد في عهد الأسرة الثانية عشر[1] واستمرت العلاقة حتى القرون السابع والسادس والخامس عشر قبل الميلاد حيث أثرت مصر على بلاد اليونان تأثيرا قويا حتى تكاد حضارة كريت تتماثل مع نظيرتها المصرية ، بالنظر إلى شدة التشابه بينهما في كثير من المظاهر ،[2] إلى أن دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن كريت في هذه الفترة كانت تابعة لمصر استنادا إلى نقش يعود إلى عهد تحتومس الثالث-1475) (1435قبل الميلاد يصور فيه وفود الأمم الأجنبية التي جاءت لتقديم الهدايا للملك المصري.[3]

وتحتومس الثالث هو الذي وسع نفوذه إلى سوريا وفلسطين وجزر بحر ايجه وعين على هذه الأخيرة أحد قواده حاكما عليها.[4]

ولم تكن العلاقات بين مصر وبلاد اليونان ذات طابع سياسي فقط، بل كان لها طابع تجاري أيضا ، فمصطلح" شعوب البحر" الذي أطلقه المصريون على عناصر يونانية من الكريتين والميوكينيين جاء نتيجة لعلاقات تجارية بحرية قامت بينهم وبين المصريين.[5]

---

(١)علي عكاشة، شحادة الناظور، جميل بيضون، اليونان والرومان، اليرموك، دار الأمل، ١٩٩١م، ص،٢٠.

(٢)فوكس وبيرن، الإسكندر الأكبر، بيروت، مطابع المستقبل، دون تاريخ، ص، ٦٥

(٣) علي عكاشة، شحادة الناظور، جميل بيضون، المرجع السابق، ص،20.

لطفي يحي عبد الوهاب، دراسات في العصر الهلنستي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٨، ص، ٩.

(٤)علي عكاشة، شحادة الناظور، جميل بيضون، المرجع السابق، ص، ٢٢

كما بينت بعض النقوش التي تعود لعهد تحوتمس الثالث أواني فضية وسبائك من البرونز قدموها لهذا الملك تدخل في إطار تحسين العلاقات مع مصر والسماح لهم بالتبادل التجاري، والأمر لا يقتصر على جزيرة كريت ، بل إن الآثار المصرية التي وجدت في مناطق مختلفة من شبه جزيرة اليونان تدل على أن تجارة مصر قد وصلت إلى الأسواق اليونانية وعلى رأسها اسبرطة وأثينا.[1]

أما في عهد الملك أمنحوتب الثالث(1367-1405) قبل الميلاد، فاستمرت العلاقة بصفة مباشرة وكان الجنود المرتزقة الإغريق قد دخلوا في الجيش المصري في عهد الأسرة الثامنة عشر وساهموا في طرد الهكسوس من مصر.[٢].

وقد اتخذت العلاقات السياسية والتجارية صفة أكثر وضوح مع نهاية القرن السابع قبل الميلاد إذ رحب ملوك العصر الصاوي بالإغريق واستخدموهم في الجيش بأعداد كبيرة ضد الليبيين وضد الفرس، ويورد هيرودوت أن الجند الإغريق كان عددهم ثلاثين ألف لما شاركوا مع أبريز ضد أمازيس في النزاع حول العرش وبالرغم من هزيمة أبريز إلا أن الجنود الإغريق استبسلوا في القتال[٣]، ومشاركة هؤلاء الجند ضد أمازيس لم يمنع هذا الأخير من منحهم عدة امتيازات منها جعل مدينة نيوكراتيس(Naucratis) حامية لممارسة نشاطهم التجاري و للاستقرار

---

(١)أبوبكر مريقي، الدور الحضاري للبطالمة في مصر، الجانب الإقتصادي والإجتماعي نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر٢٠٠٨م، ص، ٢٢.

(٢) نفسه، ص، ٩.

(٣)هيرودوت، المصدر السابق، الكتاب الثاني، ص، ٢٠٩.

بها وساندوه بالمقابل ضد الاحتلال الفارسي[1]، ويعتبر هذا المركز الذي ناله الإغريق من قبل ملوك العصر الصاوي هو الذي دفع بالإغريق إلى إقامة مستوطنات إغريقيةذات طابع تجاري في مصرإذ يشير سترابون إلى أن بعض التجار جاءوا من ميتيلوس إلى مصر في عهد بسيماتيك ، و أسسوا مستعمرة لهم عند مصب النيل.[2]

فالعلاقة بين مصر واليونان قبل الغزو المقدوني خضعت للمصلحة المشتركة من حيث أن الخطر الفارسي كان يهدد كلاهما ،فإذا كان اليونانين قد صمدوا في وجه الفرس فإن مصر كانت بحاجة كبيرة للجنود المرتزقة الإغريق لدرء الخطر الفارسي ، في المقابل كانت المدن اليونانية بحاجة إلى القمح المصري وجني ثروات هائلة من خلال النشاط التجاري مع مصر، وهذا ما يفسر أهم جوانب العلاقة بين مصر وبلاد اليونان ومهد الطريق لمعرفة دوافع حملات المقدوني.[3]

٢-الرحلات العلمية من بلاد اليونان إلى مصر:

يقول ويل ديورانت « أن تجارة أثينا مع مصر وبلدان البحر المتوسط الأخرى جلبت لها الثراء ، وكانت تلك الاتصالات عماد رقيها الثقافي ، ذلك أن التجار الذين كانوا يتنقلون مع بضائعهم إلى جميع بلدان البحر المتوسط ، يعودون منها بنظرات جديدة للحياة تختلف عن نظرتهم عند خروجهم من بلدهم ، وبعقول متيقظة متفتحة وكانوا يأتون معهم بأفكار وأساليب جديدة يحطمون بها القيود والخمول القديم ... وبذلك نشأ العلم

---

(١)نفسه، ص، ٢١٤،٢١٨.

(2)Strabon, Geographie, trad,Amédée Tardieu,Paris, Hachette,1909,liv,XVII,1,18.

(٣) أبو بكر مرقي، المرجع السابق، ص، ١٦

والفلسفة وأصبحت أثينا أكثر مدن زمانها حيوية ونشاطا[1] » .

ويتضح من هذا القول أن العلاقة بين مصر وبلاد اليونان لم تقتصر على الجانب السياسي والاقتصادي بل تعدت إلى الجانب العلمي والثقافي، ونلاحظ أنه منذ القرن السادس قبل الميلاد لما انتقل مركز الثقل الحضاري في العالم القديم إلى أثينا، خرج المفكرون الإغريق يتجولون في ربوع بلاد الشرق القديم مستغلين سقوط الإمبراطوريات القديمة التي خلفت تركة حضارية ثقيلة كانت أساس نهضة الإغريق الفكرية والثقافية، وقد أولى هؤلاء المفكرون في رحلاتهم مصر أولوية كبيرة .[2]

ونظرا لأن مصر كانت تقابل بلاد اليونان ولا يفصل بينهما سوى البحر المتوسط، وأن اليونانيون في هذه الفترة كانوا على اتصالات تجارية مع مصر وافريقيا وبلاد فنيقيا ، فهو الذي ساعد اليونانيين على التعرف على حضارات الشرق.[3]

فمن أوائل الذين زاروا مصر وأخذوا الحكمة عن كهنتها نجد المؤرخ هيكاتيوس [4](Hecataeus)الذي عاش في أواخر القرن السادس قبل الميلاد وزارها سنة 520 قبل الميلاد[5]، ومن المفكرين أيضا العالم المشهور طاليس(Thalés)، (٦٤٠- ٥٤٦) قبل الميلاد الذي أخذ الكثير

---

(١) ويل ديورانت، قصة الحضارة، حياة اليونان، ج٢، م٢، تر، محمد بدران، بيروت، دار الجيل، دون تاريخ، ص، ص٦٠،٦١.

(٢) عبد المنعم أبوبكر،" الكشوف الأثرية وأثرها في كتابة التاريخ القديم"، المجلة التاريخية المصرية، م١٩٥٦،٥م، ص، ٣ .

(٣) ويل ديورانت، المرجع السابق، ص، ٦٢.

(٤) هيرودوت، المصدر السابق، الكتاب الثاني،ص، ١٩٩.

(٥)عبد المنعم أبو بكر، المرجع السابق، ص،٣.

من المعلومات الرياضية والفلكية من مصر وتعلم بعض الحقائق الهندسية عن كهنتها وقام بحساب ارتفاع الأهرامات عن طريق قياس أطوال ظلالها كما تنسب إليه بعض الأعمال الفلكية والجغرافية اعتمد فيها على ما أخذه من علوم في مصر.[1]

أما فيتاغورس(Pythagore) (٥٧٠- ٤٩٦) قبل الميلاد فقد زار مصر وتعلم على يد كهنتها الحكمة وعلوم المصريين القدماء خاصة الهندسة والرياضيات، و يعتبر من أبرز الفلاسفة والعلماء اليونان ويعتقد أنه أخذ الكثير من المعرفة إلى بلاد اليونان، إذ بعد عودته إلى ساموس(Samos)، بلده الأصلي بنى منزلا للتعليم فيه، ومدرسته التي حملت اسمه لم تقتصر على بلده الأصلي بل كانت أكبر المدارس العلمية في اليونان القديم وارتباط فيثاغورت بالعلوم المصرية يدفعنا إلى القول أنه ثمة صلات قوية وتأثر يوناني بعلوم المصريين واستفاقة حضارية إغريقية وأن العلماء الإغريق كانوا يأخذون العلم من منابعه الأصلية وينشرونه في بلدانهم[2] وفي نفس هذه الفترة نجد أن ديموقراطيس(Démocratés) وهو صاحب النظرية الذرية قد تلقى العلوم في مصر على يد الكهنة[3] ، وكذلك المؤرخ هيرودوت زار مصر في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ودون الكثير من ملاحظاته ولا شك أنه نقل الكثير من المعرفة إلى اليونان.[4]

---

(١)محمود حرـي عباس عطيتو، حسان حلاق، العلوم عند العرب، أسسها وملامحها الحضارية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٥م، ص، ٢٤ .

(٢)محمد ماهرعبد القادر، مكتبة الإسكندرية روح الشرق الجديد، ج١، دون مكان نشر، الحضري للطباعة، ٢٠٠٤م، ص، 30

(٣)نفسه، ص،30.

(٤)عبد المنعم أبوبكر،المرجع السابق، ص، ٤.

وأفلاطون(Platon)، (٤٢٨- ٣٤٧) قبل الميلاد وهو من الفلاسفة الذين زاروا مصر و أخذ الحكمة عن كهنتها، كما بنى مركز لتعليم الحكمة بمدينة أثينا.[1]

واتصل اليونانيون بالطب المصري القديم حيث أن الطبيب الإغريقي أبقراط(Hippocrate) الذي يلقب ب"أبي الطب ، "عاش في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد كان قد تعلم في سراديب المعابد المصرية والأهرام بعض الأسرار التي لا تفشى إلا للكهنة، ولا شك أنه قد خضع لشروط محددة لتعليم الطب، و يكون أبقراط قد أخذ الكثير من المعرفة إلى بلاد اليونان لأن مصر كانت بها مدارس ومكتبات كبيرة.[25]

وفي مجال الفلك نجد أن الفلكي اليوناني يودكسوس الكيندي(Eudox de Cnide) الذي عاش في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد زار مصر ومكث بها ستة عشر شهرا احتك أثناءها بالكهنة والعلماء، وأخذ معلومات رياضية وفلكية هامة عن المصريين، وينسب إليه إنشاء مرصد فلكي في مدينة هيلوبوليس المصرية .[3]

لقد كان إذن للازدهار الحضاري الذي عرفته مصر القديمة أثره المهم في جذب اليونانيين كشعب متطلع للرقي للقيام بزيارات مستمرة للاستفادة من علوم المصريين فضلا عن الاستفادة من النشاط التجاري، ثم محاولة مجابهة الخطر الفارسي، وهذا ما مهد للاستعمار اليوناني.[4]

---

(١)محمد ماهر عبد القادر، المرجع السابق، ص، ٣٢.

(٣)محمود حزي عباس عطيتو، حسان حلاق، المرجع السابق، ص، ١١٧

(٤) محمد ماهر عبد القادر، المرجع السابق، ص، ٤٠.

المبحث الأول

حملة الإسكندر المقدوني على مصر ونتائجها

المطلب الأول

سير الحملة

شهد القرن الرابع قبل الميلاد ظروف جديدة نتج عنها بروز توازنات جديدة في القوى المسيطرة على العالم القديم ، ففي هذا القرن بدت الإمبراطورية الفارسية في أواخر عهدها بعد أن مدت نفوذها إلى معظم بلدان الشرق الأدنى القديم ومصر وبلاد اليونان وأضحت عرضة للانهيار والتفكك نتيجة قيام اضطرابات في الولايات التي حكمتها سواء في أسيا الصغرى أو في قبرص وفينيقية ومصر مما جعل هذه المناطق تثور في وجه الحكم الفارسي ونجم عن هذا الوضع أيضا أن فقد الشرق الكثير من الايجابية الحضارية التي كانت سياجا قويا ضد أي تأثير خارجي وأصبح المجال مفتوحا لأية قوة تقدم عنصرا حضاريا جديدا.[1]

وفي نفس الوقت شهد اليونان وضع أشبه بما هو عليه الشرق حيث زال مجد أثينا والدويلات اليونانية الأخرى ، في مثل هذه الظروف بدأت تظهر قوة جديدة بزعامة فيليب المقدوني وابنه الإسكندر وهي الإمبراطورية المقدونية .[2]

وكان اتجاه الإسكندر نحو الشرق اتجاها عاديا للهجرات اليونانية التي وفدت للمنطقة بأعداد كبيرة قبل هذا العهد ، وكان من الطبيعي أن تتجه مقدونيا القوة الجديدة إلى الشرق للقضاء على

---

(١)لطفي يحي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص، ص، ٥٤، ٥٥.

(٢) نفسه، ص، ٥٥

الإمبراطورية الفارسية التي أنهكت بلاد اليونان بالتدخلات العسكرية ، كما أن القضاء عليها يتيح لها السيطرة على العالم القديم، كان من الضروري إخضاع مصر المعروفة بحضارتها القوية.[1]

لهذا وجه الإسكندر حملته إلى مصر سنة 332 قبل الميلاد قادما إليها من الشرق بعد استيلائه على مدينة صور الفينيقية وإطاحته بالملك الفارسي دارا الثالث وعلى العكس من مدينة صور التي صمدت في وجه هذه الحملة وضرب عليها الإسكندر حصارا طويلا، فإن مصر دخلها الإسكندر المقدوني دون مقاومة بعد أن استسلم له الوالي الفارسي " مزاكس"(Mazakes)؛[2] .

واستسلام المصريين لقوات الإسكندر المقدوني يرجع إلى اعتبارهم بأن الإسكندر جاء ليخلصهم من الاستبداد الفارسي الذي نكل بديانتهم وحضارتهم، و من هنا كان الخلاف بين مصر وفارس على حد اعتبار البعض حضاريا أكثر منه سياسيا[3]، في المقابل نهج الإسكندر المقدوني نهجا يختلف تماما عن الفرس حيث قدم ولاءه للآلهة المصرية، وهي إحدى علامات الذكاء السياسي التي تمتع بها الإسكندر، حيث قبله المصريون بسهولة، وتوجوه ملكا في احتفال ضخم بمدينة منف.[4]

---

(١) حسين الشيخ، دراسات في تاريخ وحضارة مصر اليونانية والرومانية، دون مكان نشر، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص،١٥

(٢)زكي علي، الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان، دون مكان نشر، مطبعة دار المستقبل، دون تاريخ، ص، ٢

(٣)إبراهيم العيد بشي، التوسع العسكري المقدوني من خلال حملة الإسكندر الأكبر على مصر ٣٣٦ ٣٢٣ق م ، ط١، الجزئر، دار هومة، ٢٠٠٥م، ص، ٢٠٦.

(٤)حسين الشيخ، المرجع السابق، ص، ٤٠.

وقد زار الإسكندر المقدوني معبد الإله أمون في واحة سيوة على بعد 250 كلم من الساحل وتحمل في ذلك مشقة وقسوة اثنا عشر يوما ، حيث لم تكن تلك الصعوبات بعائق أمامه لاستكمال رحلته وزيارة معبد الإله أمون ،الذي لم يكن على حد اعتبار البعض إلها للمصريين ، بل إلها عالمي وعرفه الإغريق قبل عهد الإسكندر المقدوني باسم " زيوس أمون"(Zeus Ammon) زاره هيراكليس(*)(Héraclite) قبل هذه الفترة، وتغنى به الشاعر بندار(Pindare) في قصائده، وورد في الكثير من الحوارات الشفوية التي كانت تجرى في بلاد الإغريق، كما كان اعتقاد الإسكندر بقدرة هذا الإله على نصرته على أعدائه هي سبب أخر لهذه الزيارة.[1]

غير أن هنا من يعتبر أن هذه الزيارة كانت من أجل أن يعين الإسكندر نفسه وريثا لإمبراطورية الفراعنة ونيل رضا المصريين خاصة إذا عرف أن الصدام بين الفرس والمصريين يرجع إلى عدم احترام الفرس لإمبراطورية المصريين وديانتهم، ولذلك لجأ الإسكندر المقدوني إلى أسلوب الحيلة والقبول ظاهريا بتقديس الإله آمون وتجنب الدخول في صراع مع المصريين المعروفين بشدة تقديسهم لآلهتهم المحلية، وصعوبة التأثير عليهم في الجانب الديني.[2]

(*)فيلسوف يوناني عاش في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، ينتمي إلى المدرسة المليطية التي سوف يأتي تفضيحها لاحقا، أنظر، رنيه تاتون، تاريخ العلوم العام، م١، تر، علي مقلد، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية، ط٢، ٢٠٠٦م، ص، ٢١٢.

(1)Paul Cloche,Alexandre le grand ,Presses universitaire, Paris, 1961, pp, 39,40.

(2)Bertrand Lancon, L'Eygpt helenistique, edit, Nathan ,1990, p ,10.

وقبل أن يغادر الملك المقدوني مصر عام 331 قبل الميلاد قام بتنظيم البلاد تنظيما دقيقا ومنحها استقلالا داخليا، وترك مصر في حماية جيش بقيادة بيوكستيس وبلاكروس وأسطول بحري بقيادة بوليمون إضافة إلى حاميات عسكرية على الحدود وفي ممفيس وبلوزيوم هدفها الحفاظ على أمن واستقرار البلاد.[1]

المطلب الثاني

تخطيط وبناء مدينة الإسكندرية

١- دوافع تأسيس المدينة

لقد استلهم الإسكندر المقدوني فكرة بناء مدينة في مصر من قصائد هوميروس(Homeros) حيث يروي بلوتارخ(Plutarque) *، أن الإسكندر بعد احتلاله لمصر واختياره موقع ملائم ليعسكر فيه جاءه في النوم حلم غريب رأى فيه شيخا أبيضا الشعر وجليل الخلقة يقترب منه وينشده تلك الأبيات المشهورة في قصائده:

في وسط البحار التي تسبح فيها مصر

قامت جزيرة فاروس (Pharos)ذائعة الصيت[2]

ولما أفاق الإسكندر من نومه ذهب لرؤية تلك الجزيرة وأمر مهندسيه بتصميم مشروع معماري كبير، يتمثل في بناء مدينة يملأها

---

(1)Arienne, L'Anabase, trad,M.M Francois –Charles et Jean Baptiste, Anselin,1835,liv,III, 5,3-6.

(*)مؤرخ يوناني عاش بداية القرن الثاني قبل الميلاد، أنظر الحسين إبراهيم أبو العطا، مكتبات العصر الهلنستي، القاهرة، عين للدراسات الإنسانية، ٢٠٠٢م، ص، ١٢٢.

(2)Plutarque, Vies des hommes illustres, vie d'Alexander, trad, Abbé Dominique Ricard, T , II, Paris,Firmin-didot, 1883,XXXVI,27.

باليونانيين يطلق عليها اسمه[1] غير أن رواية بلوتارخ لا تعطينا الحقيقة التاريخية التي قصدها الإسكندر من بناء مدينة في مثل هذا الحجم[2] لأن هناك دوافع أخرى تتمثل في:

أ-الدوافع الطبيعية:

إن الموقع الذي تأسست فيه المدينة موقع مأهول منذ القدم إذ أن مدينة نيوقراطيس ضمت جاليات يونانية سبقت الإسكندر المقدوني وأن الملك أمازيس منحفي حوالي القرن السادس قبل الميلاد عددا من الإمتيازات منها قطع أرضية بغرض ممارسة النشاط التجاري.[3]

ويورد سترابون أن الملوك المصريين أقاموا حامية عسكرية في هذا المكان ومنحوا الإغريق موطنا لهم يدعى راكوتيس(Rhakotis).[4]

ويتضح من خلال هذين النصين أن المدينة قديمة و كانت تتوفر على ظروف طبيعية ملائمة حتى تقام فيها تلك المستوطنات وتكون مركزا دفاعيا أماميا ضد الغزاة .[5]

ومن المميزات الطبيعية لهذه المدينة هو وقوعها على ربوة مواجهة لجزيرة قريبة من الساحل هي جزيرة فاروس[6]، وهنا كان من ذكاء الإسكندر أنه بالإمكان الوصل بين الجزيرة والساحل بواسطة جسر

---

(1)Ibid

(٢)نجيب بلدي، تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، مصر، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص،٣٦.

(٣)هيرودوت، المصدر السابق، الكتاب الثاني، ص،٢١٤.

(4)Op cit ,XVII ,1,6.

(٥)مصطفى العبادي، مكتبة الإسكندرية القديمة، القاهرة، وزارة الثقافة، ٢٠٠٢م، ص،٢٩.

(6)Strabon,loc cit.

كبير تمتد عليه قناة لتوصيل الماء العذب إلى الجزيرة بعد استيطانها واستغلالها[1]، وهذه الفكرة يؤيدها كالستنيس (Pseudo Callisthenes) الذي يؤكد على أن هذا الموقع كان يزود ستة عشر قرية بالمياه العذبة.[2]

إضافة إلى أن وجود المدينة على جانبي البحر ونهر النيل أتاح فرصة وجود تلك المياه وسهولة وصولها، ومن المحتمل أن اليونانيون الساكنين في مدينة نيوقراطيس قد اطلعوا الإسكندر على هذه الحقيقة الجغرافية.[3]

ومن المميزات الطبيعية الأخرى جفاف المنطقة وبعدها عن التأثر بطمي النيل الذي يتم إزاحته بواسطة التيارات البحرية المستمرة في البحر الأبيض المتوسط والمتجهة ناحية الشرق[4].

وإن كان الموقع ملائم طبيعيا، فقد تحدث البعض على أن الإسكندر المقدوني هو الذي تحدى الجغرافيا لبناء هذه المدينة الكبيرة وذلك لأن الوضعية الجغرافية للمنطقة جد صعبة وشاطئها مهمل، وأرضها غير مهتم بها، وميناءها غير محمي وخطير ومعرض للرياح التي تهب من الشمال الشرقي[5]، لكن هذه العوائق لا تنقص من أفضلية المكان من ناحية توفر المياه والأرض الصالحة للزراعة ويتمتع بحماية كبيرة سواء

---

(١)مصطفى العبادي، مجتمع الإسكندرية ... ، المرجع السابق، ص، ٢٤.

(٢)نفسه، ص، ٢٤

(٣)زكي علي، المرجع السابق، ص،٣.

(٤)عزت زكي حامد قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، ط٢، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م، ص، ٥.

(5)André Bernand,Alexandrie le grand, Paris ,Hachette, 1998 , pp,31,35.

من البحر أو من بحيرة ماريوط(Maritos) التي تقع خلف هذا الموقع ووجود عدد من التلال الطبيعية ، كتل راكوتيس عامل أخر وقائي[1].

وإضافة إلى هذا فإن مناخ المدينة ملائم للصحة الجيدة وهوائها نقي حسب سترابون [2]وارتفاع درجة الحرارة يعد عامل مهم للوقاية من الأمراض خاصة من جراثيم المستنقعات والبرك المائية[3].

وبهذه المواصفات الطبيعية يكون الإسكندر المقدوني قد اقتنع ببناء المدينة في موقعها الحالي.

ب-الدوافع السياسية:

لقد أراد الإسكندر المقدوني من خلال بناءه مدينة كبرى يجعلها عاصمة لإمبراطوريته وقاعدة بحرية تتيح له السيطرة على شرق البحر المتوسط واستكمال بقية غزواته[4]، ذلك أن أثينا لم تعد وحدها قادرة على أن تبقى عاصمة للعالم الجديد والإمبراطورية الواسعة التي تمتد من شواطئ الهند والخليج العربي إلى اليونان، وأن موقع الإسكندرية هو الملائم لهذا الدور السياسي فهو يتوسط العالم القديم ويربط بمسافة متساوية تقريبا بين كل من بلاد الإغريق ومصر وفارس وبابل وأسيا الصغرى وسوريا، وهو ما يسهل التنقل بين مختلف أرجاء الإمبراطورية

---

(1)Ibid, pp, 47,55.

(2)Op cit,XVII, 1,7.

(3)Pascale Ballet, La vie quotidienne à Alexandrie, 331- 30 a-j-c, Paris,Hachette, 1999, P,21

(٤)محمد عواد وأخرون، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣، ص، ١٣.

المقدونية.[1]

غير أن بعض المؤرخين يستبعد هذا الاحتمال بدليل أن الإسكندر لم يتوقف عن توسعاته بعد وكان من الممكن أن يتخذ مدن أخرى كمركز له كانت أفضل من الناحية الجغرافية والتاريخية من الإسكندرية، مثل مدينة بابل أو مدينة صور التي غزاها الإسكندر المقدوني قبل أن يدخل مصر، ومدينة صور كانت تشبه مدينة الإسكندرية من حيث الموقع الجغرافي لكن أفضل منها تاريخيا ،ثم أنه كان من الممكن أن يتخذ مدينة أثينا كعاصمة له وهي التي انطلق منها غازيا الشرق.[2]

ويرى البعض أن بناء مدينة الإسكندرية بالذات كان له غرض سياسي فجزيرة راكوتيس التي بنيت عليها هذه المدينة كانت مدينة متواضعة ليس لها مجد تليد فلا يخشى الإسكندر المقدوني أن تصطدم حاضرته الجديدة التي تحمل الطابع الهليني مع أي ثقافة أو حاضرة أخرى أو أي تقاليد موروثة وبذلك تكون هذه الحاضرة في منأى عن أي خطر أمني محتمل.[3]

والأرجح أن الدافع السياسي لبناء هذه المدينة هو محاولة الإسكندر المقدوني تأمين حملته على بلاد الشرق وحماية الجاليات المقدونية التي وفدت معه من بلاد اليونان[4] ، وفي نفس الوقت تكون

---

(1)زكي علي، المرجع السابق، ص، ٤.

(2)مصطفى النشار، مدرسة الإسكندرية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥، ص، ١٤.

(3)زكي علي، المرجع السابق، ص،٤.

(٤)مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص،٣٧

عاصمة لمصر، ويفهم هذا من عبارة وردت لدى يوستينوس في سيرة ذات طابع شعبي فهو يقول " أنه عند عودة الإسكندر من واحة سيوة أسس الإسكندرية وأمر بأن تكون مستوطنة مقدونية وعاصمة لمصر"[1].

ويؤيد هذا التفكير أن دار سك العملة وضعت في الإسكندرية وليس في مدينة منف العاصمة القديمة للفراعنة ،كما كانت مركز الإدارة بقيادة كليومينيس إلا أن الانتقال الفعلي لهذه العاصمة لم يتم في عهد الإسكندر وإنما كان بالتدرج تماشيا مع الإجراءات اللازمة.[2]

ج-الدوافع الاقتصادية:

من دوافع بناء المدينة أيضا أهميتها التجارية حيث يذهب البعض إلى أن المدن المجاورة لها تصلح لقيام المبادلات التجارية[3]، خاصة وقوعها بجانب البحر وتحدث سترابون عن أهمية المدينة التجارية وأفضلية ميناءها للملاحة[4]، كما نعرف بأن الإسكندر كان قد حطم في طريقه ميناء صور وأصبح بحاجة إلى ميناء جديد يضمن المصالح التجارية الإغريقية ويحل محل ميناء صور الذي كان أكبر ميناء فينيقي .[5]

يضاف إلى ذلك أن علاقة مصر ببحر ايجه كانت في ازدياد منذ قرون سابقة للإسكندر حتى أن الفراعنة تركوا عواصمهم القديمة في الجنوب واتخذوا لأنفسهم عواصم جديدة في الدلتا فحاول الإسكندر أن ينمي هذه العلاقة ويزيدها قوة من خلال تأسيس ميناء كبير يطل على

---

(١)نفسه، ص، ٣٧

(٢)نفسه.

(3)André Bernand, op cit ,p, 44

(4)Op cit ,XVII ,1,6.

(٥)محمد عواد وآخرون ، المرجع السابق، ص،ص، ١٣، ١٤.

بحر ايجه ويضمن استفادة الإغريق من ثراء مصر المادي[1]، ويؤيد هذه الفكرة أن بعض التجار كانوا يحققون ثروات هائلة في التجارة مع مصر[2]، كما تشير إلى ذلك فقرة من أشعار باخيليديس(Bachylides)في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ، وفيها يصور فتى يحلم بأن مصدر الثروة الكبيرة هو من مصر ". [3]

وميزة أخرى يتميز بها موقع المدينة هي أن التجارة فيها لا تقتصر على اليونان ومصر إذ أن الإسكندر يكون قد أدرك وقوعهاعلى معظم الطرق التجارية في العالم القديم حيث تمر به تجارة الفرس والعرب والفنيقيين والقوافل الليبية وتجارة الهند فهي تجارة ذو شقين ،برية وبحرية.[4]

أما بالنسبة للموانئ فالموقع يصلح لبناء الموانئ الكبرى والغير مكلفة ، نظرا لوجود جزيرة فاروس على مقربة من الشاطئ وبحيرة مريوط خلف هذا الموقع واتصالها بالنيل فكل هذه المزايا تجعل من مدينة الإسكندرية مؤهلة لأن تكون أكبر مركز تجاري في العالم القديم.[5]

د- الدوافع الحضارية:

كان الارتباط الحضاري بين مصر واليونان وثيقا منذ عهد ما قبل الأسرات ،وقد كان للإزدهار الحضاري والثقافي والعلمي الذي ساد مصر القديمة أثره المهم في جذب اليونانيين كشعب متطلع للرقي وللاستفادة من

---

(١)نفسه، ص، ١٤.

(٢)مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص، 33.

(٣)نفسه، ص، 33.

(٤)زكي علي، المرجع السابق، ص،4

(٥)زكي علي، المرجع السابق، ص، ٣.

ذلك التراث. [1]

واستمر هذا الترابط بشكل أكبر مع بداية العصر المقدوني ، وغزوات الإسكندر المقدوني كان من ورائها مغزى حضاري غرضه صبغ الأجانب بالصبغة الإغريقية وتكوين إمبراطورية جديدة تحت لواء المقدونيين ثم أن الإسكندر حاول تحقيق ذلك بعدة طرق منها مزج الشعوب الأسيوية مع اليونان من خلال الزواج المختلط[2]، وحاول أن يجعل عالما يقرب بين القيم الحضارية للعالم القديم تتبلور فيه جميع الحضارات القديمة ، المصرية ، البابلية ، الفينيقية ، الفارسية واليونانية.[3]

وقد اتفق الغربيون على تسمية هذا العصر الجديد الذي تداخلت فيه العناصر الحضارية الشرقية والغربية باسم " العصر الهلينيستي "، وهي تسمية أطلقها العالم الألماني" يوهان درويسن " في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر تميزا له عن الفترة الحضارية في اليونان أثناء القرن الخامس والرابع قبل الميلاد والتي عرفت باسم " الحضارة الهلينية" ، على أساس أن الحضارة الجديدة منتسبة إليها أو متأثرة بها غير أن تسمية العصر الجديد باسم " العصر السكندري "أو حضارة الإسكندرية هو أنسب تسمية له.[4]

ومن جهة أخرى مال بعض المؤرخين إلى أن التوجيه الديني يدخل في دوافع بناء هذه المدينة إذ أن نص بلوتارخ الذي يشير فيه إلى أن الإسكندر

---

(١) محمد ماهر عبد القادر، المرجع السابق، ص، ٤٠.

(٢) نجيب بلدي، المرجع السابق، ص، ١٩.

(٣) محمد عواد وآخرون ، المرجع السابق، ص، 22.

(٤) لطفي يحي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص، ص، 16،17.

المقدوني بنى المدينة بتوجيه من هوميروس يدل على هذا العامل ، والإله أمون الذي زاره الإسكندر في واحة سيوة لم يكن على حد اعتبار البعض إلها مصريا فحسب بل إلها عالميا[1]وعرفه الإغريق قبل هذا العصر باسم "زيوس أمون " وقد زار معبده شخصيات كثيرة [2] لكن الإسكندر لم يكتف بهذا التوجيه فقط وإنما استشار قبل شروعه في بناء المدينة المهندسين والمعماريين الذين اصطحبهم معه في حملته وعلى رأسهم دينوقراتيس(Deinocratés) أكبر المهندسين في عصره ، وبهذا لا يمكن اعتبار الدافع الديني تفسيرا وحيدا لبناء المدينة ،وإذا كان ذلك ممكنا لما استشار الإسكندر كبار مهندسيه وأخذ رأيهم في صلاحية الموقع ، ولا شك أن هذه العوامل كلها تداخلت حتى اتخذ قرار بناء هذه المدينة [3].

٢-الشروع في تخطيط المدينة:

بالرغم من أن بناء مدينة الإسكندرية في موقع مدينة نيوكراتيس كان بتوجيه من هوميروس الذي أوحى للإسكندر في منامه بأنه يبنيها في ذلك الموقع قبالة جزيرة فاروس ، إلا أن ذكاء الإسكندر جعله لا يكتفي بهذا التوجيه واستشار كبار مهندسيه وأوكل مهمة التخطيط إلى دينوقراتيس[4]، لكن المؤرخ بسيدو كالستنيس ذكر في كتابه، أن المهندسان كليومنيس من نقراطيس ودينوقراطيس من رودس نصحا الإسكندر بعدم بناء مدينة بمثل هذا الحجم لأن عدد السكان قليل ، وإذا امتلأت بالسكان فإن عددهم سيكون كبيرا مما يؤدي إلى صراعات

(1) André, Bernand, op cit ,p, 44
(2) Paul Cloche, op cit, p ,40.
(3) André Bernand, op cit ,p, 55.
(4) Ibid, p,45

بينهم[1]، غير أن الإسكندر لم يأخذ بهذه النصائح وقرر بناء مدينة كبيرة في مصر وقام باختيار الموقع وحدد الشوارع وأمر بأن تحمل المدينة اسمه.[2]

ويذهب كورتيوس كوينتوس أن الإسكندر لما عاد من واحة سيوة ووصل إلى بحيرة ماريوط التي تقع على مسافة ليست ببعيدة عن جزيرة فاروس وأمعن النظر و التفكير في طبيعة المكان أدرك أن الموقع لا يصلح لبناء مدينة كبيرة(أي في الجزيرة)لذا اختار موقعها الحالي .[3]

ويرجع أميانوس ماركلينوس* أن مدينة بمثل هذا الحجم ،ترجع إلى حكمة مؤسسها الإسكندر ومهندسه دينوقراتيس[4]، وهكذا نرى أن الإسكندر شارك المهندسين في تخطيط المدينة من حيث تحديد أماكن قصورها، ودور الحكومة فيها، وساحات اللهو واللعب وموانئها ومكتبتها...ألخ.[5]

وقد أوكل مهمة التخطيط النهائي لمهندسه دينوقراطيس،هذا الأخير الذي طبق في تخطيطه الطريقة التي شاعت في بناء المدن اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد ويتلخص هذا التخطيط في تغطية رقعة المدينة

---

(١) عزت قادوس أحمد زكي، المرجع السابق، ص، ص، ١٥، ١٦.

(2) Diodore, Histoire universelle, trad, Abbe Tarrasson, T ,III, Paris, De bure ,1777, liv, XVII, 52, 1

(3) Quinte Curce, Histoire Alexander, trad, MM Auguste et Alphons Trognon ,Paris ,Grnier freres ,1861, liv ,IV, 8,1-2.

(٤) مؤرخ لاتيني عاش بين ٣٣٠-٤٠٠ م ، أنظر:

Théphile Obenga, L'Egypt , la Gréce et l'écol d'Alexandrie,Harmattan , 2005,p,137.

Ammien Marcellin, Histoire de Rome, trad, M Nasard, Paris, Firnin didot, 1861, liv, XXII,16, 7.

(٥) فوكس ويبرن، المرجع السابق، ص، ٦٩.

بشوارع مستقيمة تمتد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب و هي في أخر المطاف تشبه رقعة الشطرنج ، ويتوسط الشوارع المتقاطعة شارعان رئيسيان. [1]

ولقد أبهر هذا التصميم الفريد من نوعه جميع من زار المدينة في العصور القديمة والوسطى من حيث نظافتها ، وبنايتها الحجرية الضخمة واتساع شوارعها ، وكمال مرافقها.[2]

والإسكندر المقدوني لا يعتبر المؤسس الحقيقي لأنه بعد إقرار شؤون المدينة ،عاد مع جيشه إلى سوريا ، ولم يشهد بقية مراحل بناء المدينة [3] ،والمؤسس الحقيقي هم البطالمة ، إذ أن وفاة الإسكندر المفاجئة في بابل أذهلت الجميع ، و إمبراطوريته كانت لا تزال في طور التكوين، ولم يستطع خلفاؤه الحفاظ على وحدة الأمبراطورية ، خاصة وأنها شملت امتدادا جغرافيا واسعا ضم معظم مناطق العالم القديم من أوروبا وحتى أسيا وأجزاء من إفريقيا ، ولهذا نشب الصراع بين خلفاءه لتكون مصر من نصيب بطليموس سوتر وهكذا أسست دولة البطالمة.[4]

٣- قيام دولة البطالمة واستكمال بناء المدينة:

إن موت الإسكندر المفاجئ في بابل سنة323 قبل الميلاد نجم عنه وضع سياسي جديد فإمبراطوريته الناشئة كانت تشمل حدود واسعة من بحر ايجه غربا إلى الهند شرقا ومصر من إفريقيا[5] ، ونتج عن هذا الوضع

---

(١) محمد عواد وآخرون المرجع السابق ص ١٦

(٢) فوكس وبيرن المرجع السابق ص ٦٩.

(3) Diodore de Scicle, XVII, 52,7. (6)

(٤) حسين الشيخ ، المرجع السابق، ص، ٤٢.

(٥) لطفي يحي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص، ص، 85،٨٦.

موقف معقد حيث لم تعرف هذه الإمبراطورية نظاما سياسيا أو إداريا محددا تسير عليه ،وجميع التنظيمات التي وضعها الاسكندر كانت مؤقتة تتماشى مع ظروف الحرب والحملات العسكرية ولم ينظم طريقة لوراثة العرش ، ولم يترك وريثا شرعيا من صلبه.[1]

وعلى هذا الأساس اجتمع قادة الإسكندر المقدوني في مؤتمر بابل سنة323قبل الميلاد ليحددوا فيه مصير الإمبراطورية واتفقوا على أن تبقى الإمبراطورية في بيت فيليب وأن ينتقل العرش إلى فليب أرهيدايوس)فليب الثالث (وهو أخ غير شقيق للإسكندر على أن يشاركه فيه مولود الإسكندر من زوجته الفارسية روكساني (Roxane)إذا جاء ذكرا ، كما اتفقوا على تقسيم الإمبراطورية إلى أربع وعشرين ولاية يحكم كل منها قائد من قواد الإسكندر، وجعلوا كراتيروس وصيا على العرش وبرديكاس قائدا أعلى للجيش.[2]

ولكن هذا التقسيم لم يدم طويلا إذ بدأت تظهر الصراعات ، وانفرد البطالمة بحكم مصر .[3]

وإذا كان دينوقراطيس هو من أشرف على بداية بناء المدينة ،بأمر من الإسكندر المقدوني فإن الفضل يرجع لبطليموس الأول سوتير (Ptolemee I Soter)(٣٢٣- ٢٨٥) قبل الميلاد وبطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥- ٢٤٦قبل الميلاد(Philadelphe) في استكمال المظاهر الأخرى للمدينة من حيث اتمام المنشآت الأخرى كالمكتبة ودار

---

(١) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص،٤١.

(٢)لطفي يحي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص، ص، 87، 86.

(٣)حسين الشيخ، المرجع السابق، ص،٤٢.

العلم والمسارح..ألخ، وذلك لأن الإسكندر المقدوني تابع توسعاته باتجاه الشرق، وترك أمر البناء للحامية العسكرية التي خلفته في قيادة المدينة .[1]

وقد أشار ديودور الصقيلي إلى أن خلفاء الإسكندر المقدوني من البطالمة، وسعوا مدينة الإسكندرية، حتى أصبحت من حيث الاتساع أول أو ثاني مدينة في العالم المأهول أنذاك. [2]

كما أشار سترابون إلى أن القصور الملكية كانت تمثل ربع أو ثلث المدينة بسبب حجمها الكبير.[3]

ومن المنشآت الهامة في المدينة ضريح الاسكندر المقدوني، ومقبرة البطالمة المتعاقبين وملعب الجمنازيوم أو دار الندوة الثقافية ،ومعبد السرابيوم (Serapeum)، المخصص لعبادة الإله سيرابيس.[4] وتعتبر منارة الإسكندرية من بين المنشآت الفنية الهامة في العالم القديم، وضع تصميمها المهندس سوستراتوس الكنيدي (Sostratos de Cind) في أوائل عهد بطليموس الثاني، نصبت في قاع البحر المتوسط لتكون دليلا لإرشاد السفن ليلا)٥(.[

وكان لهذه المنشآت الكبرى أثر على كل من زار المدينة في العصور القديمة والوسطى حيث وصفها ديودور الصقيلي بأنها المدينة الأولى في العالم من حيث الثراء)٦(أما أميانوس ماركلينوس فوصفها بزهرة

---

(١) فادية محمد أبوبكر، مصر زمن البطالمة، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦م، ص، ٩٩.

(2) Op cit,XVII,52, 5.

(3) Op cit ,XVII ,52, 4.

(٤) زكي علي، المرجع السابق، ص،١٠.

(٥) نفسه، ص، 19.

(6) Loc cit.

المدائن لوجود عدد كبير من المباني الفخمة والتي اعتنى بها البطالمة وصبغوها بالطراز الأثيني [1]، ولقبها كوينتوس كريتوس بالمدينة الساحرة .[2]

(1)XXII ,16, 7.)
(2)Op cit ,IV ,8 ,5. (7)

المبحث الثاني

الوضع السياسي والاقتصادي لمدينة الإسكندرية في عصر البطالمة

المطلب الأول

الإسكندرية عاصمة سياسية للبطالمة

ارتبط تأسيس مدينة الإسكندرية على حد قول بعض المؤرخين باتخاذها عاصمة جديدة لمصر أي أن الاسكندر المقدوني هو الذي خطط لأن تصبح هذه المدينة الجديدة مركزا للسلطة غير أن الانتقال من منف العاصمة القديمة للفراعنة إلى المدينة الجديدة أخذ بعض الوقت حتى تمت الاستعدادات اللازمة. [1]

ولهذه الأسباب اختلف المؤرخين حول من جعل مدينة الإسكندرية عاصمة فعلية، فهناك من يرجعها إلى فترة الصراع بين خلفاء الاسكندر المقدوني ،لما كان البطالمة طرفا في هذا الصراع كانوا يلجئون للاحتماء بهذه المدينة ،أو لاستئناف شوط جديد من أشواط الصراع ولا شك أنهم أخذوا فكرة عن الموقع الإستراتيجي للمدينة.[2]

لكن إحدى وثائق الكهنة المصريون تشير إلى أن بطليموس الأول هو من جعلها عاصمة في حوالي سنة 320 أو 319 قبل الميلاد [3] ،كما أشار إلى ذلك ديودور الصقيلي بأن بطليموس الأول هو من نقل جثمان الإسكندر المقدوني من مدينة بابل إلى مدينة الإسكندرية حتى يجعلها

---

(١) فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص،١١٧.

(٢) محمد عواد وآخرون ، المرجع السابق، ص،25

(٣) فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص، ١٠٧.

عاصمة له[1] وقد تم نقل جثمانه سنة ٣٠٦قبل الميلاد ، وبداية من هذا التاريخ أصبحت العاصمة الفعلية ومركز للهيئات السياسية والإدارية والإقتصادية للبطالمة.[2]

ويمكن القول أن اتخاذ مدينة الإسكندرية كعاصمة فعلية أخذ شكله النهائي في عهدي بطليموس الأول والثاني حينما أصبحت هذه المدينة هي العاصمة الأقوى إقليميا[3]،وكانت أنسب مكان للدعاية السياسية التي وجهها البطالمة إلى جميع أرجاء العالم الهلنستي مثل الوفود التي كانوا يرسلونها بصفة مستمرة إلى جميع المناطق التي كانوا يريدون إقامة علاقات معها كما أن السفارات الأجنبية كانت تحضر احتفالات البطوليا منذ عهد بطليموس الأول، ومن هنا يتضح أن مدينة الإسكندرية اتخذت كعاصمة لعدة اعتبارات، منها ما فرضته الظروف كإطلالها على البحر الأبيض المتوسط وأن الوضع الدولي الجديد الذي نجم عنه التقاء الحضارة الشرقية والغربية لا يدعو إلى اتخاذ الحواضر الفرعونية القديمة كعواصم لبعدها عن البحر وهذا ما يتناقض مع نوايا المقدونيين في جعل المدينة على شاكلة الطراز اليوناني.[4]

وقد تركزت جميع مراكز الحكومة فيها تسير بنظام المركزية فهو نفس النظام الفرعوني القديم حينما كان الفرعون مصدر لجميع

---

(1) Op cit ,XVII,52,5.

(2) Jean Palerne , Science et vie intellectuielle à Alexandrie , Saint-Etienne , Publication université, 1994, p,13.

(3) Pascale Ballet ,op cit p, 13.

(٤) لطفي يحي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص،ص،٢٦٩-٢٧٥.

السلطات.[1]

وإذا كان الملوك المقدونيين قد حكموا بصفة مطلقة ومركزية إلا أن هذا لا ينفي وجود بعض مظاهر نظام " دولة المدينة "الذي ساد في المدن اليونانية قبل عهد الاسكندر المقدوني فالتقسيم القبلي للاسكندريين بالنسبة للمشاركة والتمثيل في الحكم كان موجودا ، كما وجدت المجالس الشعبية في مدينة الإسكندرية متمثلة في مجلس "المقدونيين "و "مجلس الإسكندريين "إضافة إلى مجلس الشورى .[2]

وبوجود هذه المجالس يمكن القول أن مدينة الإسكندرية قد أخذت بعضا من النظام الفرعوني القديم ونظام" الدولة المدينة" الذي كان معمول به في بلاد الإغريق قبل مجيء الإسكندر المقدوني وهذا المزج بين النظامين فسره البعض على أنه محاولة للتوفيق بين نظاميين قديمين ، أحدهما النظام الملكي الذي اعتاد عليه المصريون زمن الفراعنة والثاني الحكم الديمقراطي الذي عرفته بعض الدويلات اليونانية.[3]

المطلب الثاني

الإسكندرية كعاصمة اقتصادية للبطالمة

لقد عرفنا في السابق كيف أن الدافع الاقتصادي كان من وراء بناء هذه المدينة حيث أن موقعها الممتاز جعلها تتصل مع شعوب البحر الأبيض المتوسط و حلقة وصل مهم بالنسبة للبحر الأحمر فهي وسيط

---

(١) إبراهيم نصحي،" مظاهر التقاء الحضارة المصرية واليونانية في عصر البطالمة"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، ع٢، م١، ١٩٤٩م، ص، ٣.

(٢) لطفي يحي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص،ص،٢٧٣-٢٨٣.

(٣) إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ص،٣.

تجاري هام و منذ قرون عديدة عرف الإغريق أهمية هذا الموقع في مستقبل بحريتهم ، فأسسوا مستعمرات و موانئ تجارية ، كما أن الحضارة المصرية لم تكن مجهولة لدى اليونانين إذ أن جزيرة فاروس عرفت من قبل البحارة اليونان الذين كانوا يرتادونها لأغراض تجارية.[1]

كما عمل البطالمة على توطيد النشاط التجاري من خلال بناء الموانئ التي أصبحت في فترة وجيزة نقطة التقاء و عبور طرق التجارة الآتية من الشرق والغرب والجنوب[2] ، وقد تحدث سترابون على أن المدينة كانت غنية جدا بفضل وجود ميناءين[3] ، و يقصد سترابون بالميناء الأول ما كان موجود في الناحية الغربية من المدينة ، أما الميناء الثانيف يقع في الجانب الشرقي وهو ميناء عسكري[4] ،وأشار فلافيوس جوزيفوس (Flavius Josephus)* أن ميناء الإسكندرية كان من الموانئ الهامة والآمنة[5].

وقد كان إنشاء منارة الإسكندرية إنجاز كبير في حركة الملاحة في الليل إذ أن الإضاءة التي كانت تمتد على بعد 300 ذراع حوالي ١٨٠مترا ، ساعدت على الإبحار ليلا[6] ، وقد أبهرت هذه المنارة العالم فهي من مبتكرات العبقرية الإغريقية وانتشرت بسرعة في مختلف الموانئ وأحدثت ثورة في الملاحة ، ذلك أن السفن أصبحت تسافر أثناء الليل بدل من

---

(1) Pascale Ballet, loc cit.

(٢) محمد عواد وآخرون، المرجع السابق، ص،30.

(3) Op cit, XVII, 1, 8.

(4) Pascale Ballet, loc cit

(*)مؤرخ يهودي عاش في القرن الأول الميلادي، وقد زار مدينة الإسكندرية، أنظر ، عزت قادوس حامد زكي، المرجع السابق، ص، ٣٧.

(5) Flavius Josèphe, La guerre des Juifs contre les Romains, trad, Théodore Reinach, Paris,1900- 1932 ,Liv, III,4.

(٦) عزت قادوس حامد زكي، المرجع السابق، ص، ٣٧.

الاقتصار على الإبحار نهارا كما أصبحت السفن تشق طريقها في أواسط البحار بدلا من أن تسير على جانب الشاطئ، وما كان ليتم هذا الإنجاز لولا العبقرية الإغريقية، و أثر تطور هذه التقنية بصفة كبيرة على حركة الملاحة الدولية التي أصبحت أكثر تحركا ونشاطا وأصبحت التقنية الأساسية في البحرية الحديثة .[1]

وقد ساهمت هذه الانجازات في أن تصبح مدينة الإسكندرية العاصمة الاقتصادية للبطالمة بل أهم مركز تجاري عالمي ، يربط طريق إفريقيا الشرقية ببلاد العرب عبر بترا ثم الإسكندرية إلى ثم البحر الأحمر وصولا إلى الهند .[2]

وهكذا بفضل هذه الطرق اتصلت مدينة الإسكندرية بأقاصي أسيا ومجاهل إفريقيا وساهمت في بلورة التقاء تجاري عالمي وحضاري.[3]

أما صادرات المدينة فتمثلت في الحبوب وخاصة القمح الذي كان يخزن داخل المخازن الملكية إضافة إلى الكتان، العطور، التوابل ، الأحجار الثمينة.[4]

وتتمثل الواردات في : المواد الأولية، الخمر، المعادن،الصوف، زيت الزيتون، وأيضا المواد الثمينة كالذهب والفضة والنحاس، القصدير.[5]

---

(١) إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص، ٨.

(2) Paul Petit, La civilisation hellénistique,Paris, Presses universitaire ,1965, p, 37

(٣) زكي علي، المرجع السابق، ص،٤.

(4) Paul Petit, loc cit

(5) Ibid.

والإسكندرية هي المركز الأساسي الذي يرد إليه كل ما تحتاجه مصر من الخارج كالأخشاب التي كانت مصر بحاجة إليها خاصة مع اهتمام البطالمة بالبحر، لذا استورد البطالمة خشب البلقان وأنواع أخرى من أشجار الزينة كانت تأتي من الأقاليم المدارية في الجنوب وخشب سوريا ، و القطران الذي اعتمد عليه في صناعة السفن والفخار واستورد من مقدونية ومن هضاب أسيا وافتقرت مصر إلى المعادن واستورد ت من اسبانية والهند بالخصوص، وقد ساعد موقع الإسكندرية على ضفتي المتوسط، وسهولة الربط بينها وبين البحر الأحمر، وكذلك الوصول إلى الطرق البرية ، هو الذي جعل المدينة تسيطر على حركة التجارة العالمية، ذلك الدور الذي لعبته مدينة صور قبل هذه الفترة، ثم مدينة قرطاج التي تأثرت بعد أن لأصبحت الطرق التجارية بأيدي البطالمة في مصر.[1]

وإذا كانت الحركة التجارية أهم ما ميز الحياة الاقتصادية في مدينة الإسكندرية فإن الصناعة عرفت نهضة كبيرة فاشتهرت المدينة بصناعة الزجاج الذي أخذ في الانتشار حتى وصل إلى الصين كما كان يحول بها الكتان وورق البردي إضافة إلى فن النقش على الخشب والعاج.[2]

إن تشعب حركة الصادرات والواردات تبين مدى الدور المنوط بهذه المدينة كمركز تجاري من الطراز الأول مما جعلها من أنشط المناطق التجارية في العالم وتكون عاصمة اقتصادية للبطالمة.[3]

---

(1)محمد عواد وآخرون ، المرجع السابق، ص،31.

(2)زكي علي، المرجع السابق، ص،35..

(3)لطفي يحي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص، 303.

المطلب الثالث

التركيبة الاجتماعية في الاسكندرية

كانت نظرة الاسكندر المقدوني منذ البداية هي جعل المدينة مأهولة بالسكان حيث أنه أمر سكان المدن المجاورة بالتحرك والاستقرار فيها وقد إستجاب لنداءه الكثير منهم [1]، لكن هذه المدينة لم تتألف من سكان المدن والقرى المجاورة فقط إنما ضمت أعدادا سكانية شكلت خليطا من مختلف الشعوب حتى أطلق عليها سترابون* اسم " خزان الأمم.[2]

وقد كانت سياسة البطالمة منذ البداية تعتمد على استيراد مزيدا من الهجرات الإغريقية وتشجيع ذلك بمنح الجنود قطعا أرضية تسمى CLEROIويمكن أن يقيموا عليها ويستثمروا فيها بدلا من دفع الرواتب، وكانت هذه الإمتيازات تمنح للمواطنين أيضا بهدف تجسيد الإستيطان الإغريقي لأن نشر الثقافة اليونانية كان بحاجة إلى مختلف الطبقات الثقافية.[3]

وقد أحس البطالمة بأن أفضل وسيلة للسيطرة على المصريين هي طمس حضارتهم، حتى لا يبقوا معزولين عن المستوطنيين وبالتالي يشكلون خطرا على الوجود المقدوني، ولا يتم ذلك إلا بفرض الثقافة اليونانية

---

(1) Quinte Curce,loc cit.

(٢)فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص، ٩٩.

(*) زر سترابون المدينة بين سنتي ٢٥-٢٤ قبل الميلاد أنظر André Bernand, op cit , p,98.

(٣) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص، ٣١.

وتغليبها على ثقافة المصريين. [1] ، وكان من بين النواة التي شكل منها مجتمع الاسكندرية قدماء الجنود والجاليات.[2]

وقد ساعدت الظروف الجديدة التي عرفتها المدينة إلى زياد عدد سكانها مع مرور الوقت حتى تخطى العدد300 ألف ساكن طبقا للتعداد الرسمي الصادر عن الدولة[3]، وهذا الرقم الذي ورد عن ديودور الصقيلي هو خاص بالأفراد الأحرار ومعنى هذا إذا أضفنا الأهالي والأفراد الآخرين الغير مسجلين ضمن قوائم السكان الرسمية فإن العدد قد يناهز500 ألف ساكن [4]، وهذا يفوق عدد سكان أثينا في تلك الفترة حيث لم يكن يتجاوز300 ألف ساكن[5]، وإذا كان سكان المدينة وفدوا من مختلف المناطق فإن الطبقية سادت في المجتمع فقد تكونت عدة طبقات شكلت بالترتيب حسب مكانتها:

١- طبقة المقدونيون:

هم أعلى طبقات المجتمع نظرا لأن أفرادها يسيطرون على الحكم ،وقد حملوا اسم (MAKEDONES) واحتلوا الوظائف العليا في الدولة[6]، كقيادة الجيش ووظيفة الكهنة وتميزوا عن باقي الإغريق[7]،

---

(١) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص، ٣١.

(2) Pascale Ballet, op cit, p, 13.

(٣) Diodore, op cit, XVII ,52,6. زر ديودور الصقيلي المدينة سنة ٥٩ق م، عزت زكي محمد قادوس، المرجع السابق،٢١.

(٤) فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص، ١٩١.

(5) M Finley, Les Ancienes Grecs, introduction a leur vie et leur pensee,Paris, edit, Francois, (5) Maspero ,1971, p, 155.

(6) Bertrand Lancon, op cit p, 68.

(٧) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص، 38

كما خصص لهم تنظيم خاص بهم يدعى " بوليتوما "وقد كان لهذا التنظيم أهمية خاصة من حيث تأثيره السياسي والاجتماعي، نظرا إلى أن طبقة المقدونيين تنتمي إلى نفس طبقة العائلة الحاكمة(البطالمة)، وكانوا يعتزون بانتمائهم إلى الإسكندر المقدوني ويعتبرون أنفسهم أسيادا على الطبقات الأخرى، وقد جاء معظمهم مع الإسكندر المقدوني.[1]

٢- الإغريق:

هم فئة المواطنون الكاملون أو " الإسكندريين[*] " ، (Alexandrin)وهم ينتمون إلى الأسر العريقة[2] ،و يتمتعون بجميع حقوق المواطنة كالاشتراك في المجالس ، وشغل وظائف كبرى في الدولة، ويتمتعون بالحقوق الاجتماعية كالتزاوج فيما بينهم وامتلاك الأراضي في المدينة مع الإعفاء من الضرائب وأعمال السخرة[3]، وجاء هؤلاء الإغريق من حوالي أربعين مدينة يونانية في مقدمتها أثينا واسبرطة وأخيا وقورينيا[4].

٣- المصريون :

يمثلون طبقة أقل أهمية من غيرهم، بالرغم من أن من ضمنهم من وصل إلى طبقة الكهنة ووظائف كبرى في الجيش [5]، وفي البلاط الملكي في أواخر عهد البطالمة لكن من تمتع بهذه الامتيازات هم ممن اصطبغوا بالصبغة الإغريقية ، في حين أن غالبية المصريين حافظوا على

---

(١) فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص، ١٩٤.

(٢) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص، ٤٥.

(٣) محمد عواد وآخرون، المرجع السابق، ص،44،٤٥.

(٤) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص، 44،٤٥.

(٥) نفسه، ص، ٤٥.

تقاليدهم الفرعونية بعيدين عن المؤثرات الإغريقية.[1]

ولم يسمح القانون بأن يتم التزاوج بين المصريين والمقدونيين ، لكن مع مرور الوقت حدث تأثير وتأثر فأصبح ذلك ممكنا.[2]

٤- اليهود :

وجد اليهود في مصر قبل الإحتلال المقدوني، إذ أن عملية السبي البابلي قد أدت إلى تهجير الكثير منهم إلى مختلف مناطق العالم ، وبالرغم من أنهم لم يبلغوا درجة مواطنين أحرار إلا أنهم كانوا يشكلون طبقة مهمة لها دستورها الخاص[7]، و لهم من الامتيازات ما يعادل طبقة المقدونيين، باستثناء عدم تمتعهم بحقوق المواطنة، إلا من اصطبغ منهم بالصبغة الإغريقية وقد وصل إلى مناصب عليا في الدولة، كما ساعدهم على احتلال المراكز الهامة والقيام بدور كبير في النشاط التجاري بالمدينة.[3]

٥- الطبقات الأخرى:

وقد ضمت المدينة جنسيات أخرى كالفرس الذين استوطن بعضهم في مصر إبان الحكم الفارسي وهاجر إليها البعض الآخر في العصر البطلمي خاصة ذ وي الكفاءات منهم، اهتم بهم البطالمة من أجل النهضة الفكرية والثقافية[4]، إضافة إلى هذه الجاليات كان هناك العرب

---

(١)فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص،٢١٦.

(٢)زكي علي، المرجع السابق، ص،١٥.

(٣)مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر عصري البطالمة والرومان، ط١، القاهرة، ملتزم الطبع والنشر، ١٩٦٧م ص،٢٢

(٤) محمد عواد وآخرون، المرجع السابق، ص،47.

والهنود[1]، والليبيين والأحباش [2]وتجسد ذلك بوضوح في أن المتجول في شوارع المدينة يستمع كافة اللغات اليونانية والأسيوية ، و هذا الخليط شكل تمازج بين مختلف حضارات العالم القديم مما سوف يؤثر تأثيرا بالغا على ثقافة وعلوم هذا العصر[3].

(١) مصطفى النشار، المرجع السابق، ص، ١٦.

(٢) محمد عواد وآخرون ، المرجع السابق، ص،٤٤.

(٣) نفسه، ص، ٤٤.